مبتور الساقين

للكاتب الفرنسي هنري دي موبسان

جرت لي هذه الحادثة سنة ١٨٨٢ وكنت مسافرا في القطار ومزمعا الانزواء بنفسي في إحدى مقاصيره، حين انفتح بابها وسمعت صوتا يقول لآخر :

— خذ حذرك من الزلل ياسيدي ، فقد بلغنا ملتقى الخطوط « القص » ثم إن مرتقى القطار مرتفع

فأجابه صوت آخر :

— لا تخف يا لوران فسأعتمد على مقبض عكازي ثم ظهر لي رأس مستور بقبعة مستديرة ويدان تمتاز بهما سيران من جلد ، أخذتا تعتمدان وتستندان إلى جانبي باب القطار ، ثم رفعتا بهوادة وبطء جسما بدينا بعض الشيء سمعت لوقع أقدامه الخشبية نقرا على مرتقى القطار ، وحين هم الرجل بالدخول إلى مقصورتي أبصرت نهاية بنطالونه المتراخي فبرزت لي من خلاله رجل خشبية سوداء لم تلبث أن لحقت بها أختها ، فعلمت أن رفيق مبتور الساقين ثم برز لي من ورائه رجل آخر راح يقول له :

— هل أنت مرتاح في جلستك ياسيدي ؟

— نعم يا ولدي

— وإذن فهاك صررك وهذا عكازك ، وهنا أبصرت خادما تبدو في سحنته معارف جندي قديم يصعد إلى صاحبنا حاملا له بين ذراعيه كدسة من أشياء ملفوفة بأوراق ، بعضها أسود وبعضها أصفر ، حتى إذا وضعها في رف القطار الواحدة بجانب الأخرى ، قال لسيده :

كل شيء معد لك ياسيدي : فهي هذه الصرر الخمسة أشياء : السكر والملبس، والدسمة، والطبل، والبندقية، وأخيرا القطيرة الدسمة

— حسن جدا يا ولدي

— أتمنى لك سفرا ميمونا ياسيدي

— شكرا « يا لوران » وأنا أتمنى لك صحة موفورة ، ثم غادر الخادم القطار بعد أن أغلق على سيده باب المقصورة

كان رفيق في السفر في الثالثة والثلاثين من عمره تقريبا ، على رغم أن شعره وخط أكثره الشيب ، وكان حسن البزة والشارة، غليظ الشارب تبدو عليه الفراهة والقوة واكتناز اللحم، فبعد أن استقر ومسح جبينه وراح ينفث في الهواء دخان سيجاره رمقني بنظرة هادئة ثم قال :

— امل دخان سيجاري يزعجك ياسيدي ؟

— فقلت له : كلا ، ولكن ما كدت أنطق حتى دهشت، ذلك أن هاتين العينين وذلك الصوت وحتى هذه السحنة لم تكن غريبة عني ، نعم كنت أعرفها ولكن أين .. ومتى ؟ وفي الحق لقد بدا لي أني لاقيت هذا الشاب وكلمته وضغطت على يديه ولكن ذلك كان بعيدا حتى لقد ضاع في ضباب كثيف يحيل للفكر معه أن يتلمس ذكريات الماضي ويتبعها كأنها الأطياف الهاربة ، كان هو أيضا يحدجني بنظره ويتفرس في وجهي متعرفا كأنما داخله من التشكك بمعرفتي مثل ما داخلني ، وتضايق نظرانا من هذه الملاقاة الملحة فافترقا ، على أنه لم تمض إلا ثوان حتى عادا وتلاقيا ثانية بتأثير حب الكشف والاستطلاع ، وابتدرته أنا قائلا :

— يالله ياسيدي : ألا ترى أنه يحسن بنا بدلا من أن يسارق كل منا صاحبه النظر أن نبحث معا عن المكان والزمان اللذين تعارفنا فيهما أول مرة ؟ فأجاب بلطف :

— إنك لمحق ياسيدي ، وهنا سميت له نفسي فقلت :

— إني أدعى القاضي هنري « بونكلير » فتردد برهة ثم قال بعين قائمة بضباب الذكرى وصوت من يحضر ذهنه كي يستذكر شيئا عفى عليه الزمن :

— آه .. ذكرتك تماماً ، فقد صادفتك فى « بوانسل » وكان ذلك منذ اثنى عشر عاما قبل الحرب المشئومة ...

— نعم يا سيدى ... أوه ... وإذاً فأنت الليوتنان فاليه ؟

— نعم أنا بعينى ، ثم أصبحت الكابتن «فاليه» قبيل اليوم الذى فقدت فيه ساق الاثنتين بإصابة فظيعة من قنبلة حربية

وهنا حدق كل منا فى صاحبه من جديد بعد هذا التعارف . وتمثل فى خاطرى هذه الساعة منظر ذلك الشاب الجميل اللطيف الذى كان ملء العين والفؤاد بلباقته وخفته وجماله . ولكن وراء هذه الصورة الغامضة الملفوفة بضباب النسيان ، كانت تطفو على ذاكرتى قصة لهذا الشاب ، كنت أعرفها وأنسيتها الآن ، ولكنى لم أنس أنها قصة جذابة الحوادث مثيرة رغم قصرها لأن الحب لعب على مسرحها . ثم أخذت ظلال النسيان تنحسر عن ذاكرتى شيئاً فشيئاً ؛ وإذا بها تنضوه وتستنير بها المسالك ، فيطالعنى من خلال سطورها المحورة وجه فتاة مليحة ، وإذا باسمها يرن فى سمعى ويجرى على لسانى : الآنسة « ماندال » .. لقد ذكرت كل شئ الآن .. وفى الحق لقد كانت قصة غرام تلك التى نسيتها أولا . كانت تلك الفتاة تحب هذا الرجل حين التقت به ، وكان الناس يتحدثون عن زواجهما المنتظر القريب الذى كان يفجر ينابيع الفرح والسعادة فى قلب صاحبنا الضابط

وهنا صوبت بصرى إلى الصور الموضوعة على الرف فوق رأس الضابط الكسيح . فإذا بها تهتز وتضطرب من حركة القطار ، وإذا بى كأنى أسمع الآن صوت الخادم يقول لسيده :

كل شئ معد لك يا سيدى . فى هذه الصور الخمسة أشياء : السكر ، والملبس ، واليندقية . والطبل وأخيرا الفطيرة الدسمة . وتأملت فى لحظة بخاطرى رواية لهذا الكسيح الذى أراه أمامى : رواية تشبه الشبه كله جميع ما كنت قرأته فى القصص أو رأيته فى المسارح ؛ وذلك إما أن يتزوج الخطيب ذو الهاهة خطيبته السليمة أو لا . وإذن فإن هذا الضابط البتور الساقين قد وجد خطيبته بعد الحرب فوهبت نفسها له رغم مصيبته بساقيه . تمثلت كل هذا جيدا فى بساطة ، ثم عرض لى فجأة افتراض آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر أيكون الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل الفاجعة الأليمة بساقيه ؟ أتكون الصبية المسكينة احتسبت الله فى مصيبتها فيه وخضعت لمشيئة القدر القاسى ، فهى تستقبل مكرهة هذا الكسيح الذى غادرها ملء العين ملاحة وسلامة قبل الحرب ، وآب إليها بساقين خشبيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين ؟ أتراه سعيدا أو متألما ؟! وقامت فى نفسى رغبة لا تقاوم فى الاستعلام عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل عن النقطة الهامة التى أستطيع أن أبصر على ضوئها ما يود هو إخفاءه عنى أو ما لا يمكنه الإفضاء به . ورحت أكلمه بأحاديث شتى ، بينما عيناى مثبتتان على الصور الملفوفة التى وضعها خادمه على رف القطار ثم استنتجت من محتوياتها أن له امرأة وطفلين : أما السكر والملبس فلامرأته ، وأما الدمية فلطفلته ، وأما الطبل واليندقية فلطفله ، وأما الفطيرة الدسمة فله هو ؛ وفجأة قلت له :

— أهلك أب لعائلة يا سيدى ؟

— كلا

فشعرت بشئ من الخجل والريبة لهذا السؤال كأنى ارتكبت ما لا يتفق وحسن العشرة . لهذا عقبت :

— معذرة يا سيدى لقد ظننت ذلك مما سبق إلى سمعى من قول خادمك وإشارته إلى هذه اللعب . وأنت تعلم أن المرء لا يملك أذنه حتى ولو لم يرد ذلك . فافتر ثغره عن بسمة راضية ثم قال :

— وما قولك أنى لست متزوجاً ؟

وهنا بدت على دلائل الاستذكار والتأمل ؛ ثم قلت فجأة :

— أوه ! إن ما تقوله الحق ، فحين تعرفت بك كنت عاقداً خطبتك على الآنسة ماندال فيما أظن ؟

— نعم يا سيدى إن ذاكرتك جيدة جدا . فاجترأت وتابعت :

وأذكر أيضا أنى سمعت أن الآنسة ماندال خطيبتك تزوجت موسيو ... موسيو ... فلفظ الضابط فى سكون هذا الاسم :

— موسيو فلوريل ، أليس كذلك ؟

— نعم هو بعينه . وأذكر أيضا أنى سمعت فى ذلك الحين قصة فاجعتك ، ونظرت إليه من جانب عينى فإذا بالدم يتدفق

فى وجهه أحمر قانيا ، ثم إذا به يجيبنى فى حمية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقا وفرط فى حقه فيها وهو يريد الآن تبرير موقفه فقال :

— لقد كان من أعظم الخطأ بل والألم أن يذكروا أمامى اسم خطيبتى « ماندال » بعد إذ أبت من الحرب بدون ساقين ، ويا للأسف ، لم يكن بوسعى أن أقبل دون ألم وتقريع ضمير أن تصبح « ماندال » امرأتى : أترى ذلك يكون ممكنا ؟ حين يتزوج المرء يا صديقى لا يفعل ذلك كى يتباهى على الناس بامرأة جميلة فتانة ! إنما يفعل كى يعيش بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات والدقائق والثوانى . فإذا كان الزوج مثلى كتلة شوهاء مبتورة فإنه بزواجه من فتاة رياضة الشباب يكون قد حكم عليها بالألم المض وقصرها على حياته الناقصة المحطمة حتى الموت ، أنا أفهم وأقدر بل وأعجب بجميع التضحيات ، ولكن حين يكون لها حدود تنتهى إليها ، لهذا فأنا أستنكر من نفسى أن تحرم فتاة جميلة نفسها لأجلى من كل ما تهفو إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملاذ وأحلام للصبا وللجسد أيضا ، كل ذلك كى يقال عنها إنها عفيفة ظريفة كريمة ، ثم كيف أطلب منها هذا وأنا نفسى حين أسمع على أرض الدار وقع عكازى وأنا أمشى وأحجل ، أنا نفسى حين أسمع هذا الصوت الذى يشبه وقع أقدام البغال يجيش فى نفسى الحنق فأود خنق خادمى ، وهل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن تتسامح فى شئ هو نفسه لا يغتفره لنفسه ، ثم أتعتقد وتتصور أن ساق الخشبيتين هاتين جميلتان فى النظر فاتنتان للعين؟ وسكت وسكت فما عساى مجيبه ؟ إن كلامه الصدق فهل بوسعى أن ألومه أو أخطئه ، ثم سألته فجأة :

— هل لمدام فلوريل خطيبتك المزوجة أولاد ؟ !

— نعم ، طفلة وصبيان ، ولهؤلاء الأطفال ما أجمل من لعب فى هذه الصور كهدية ، إنها وزوجها طيبان ، وكان القطار فى هذا الوقت يصعد ملتقى خطوط « سان جرمان » ثم يمضى تحت الأنفاق المتعاقبة فى المحطة ، ثم يقف ، وعزمت على تقديم فراعى تكأة للضابط الكسيح كى يستعين عليها فى النزول من القطار لولا أن يدين امتدتا من باب القطار المغلق لمساعدته

— تهارك سعيد يا فاليه ، فأجاب صاحبى الضابط

— سعد تهارك « يا فلوريل » ، وقد كان خلف الرجل امرأته الجميلة تبتسم له أيضا وهى ترسل التحيات الحارة المستورة بقفازين ، وبجانبها طفلة صغيرة كانت تطفر من الفرح والابتهاج بلقاء صاحبى الضابط وبجانبها الآخر صبيان صغيران كانا يتناولان بشغف ونهم الطبل والبندقية وقد برزا من طرق الصرر التى تحملها أبوهما فلوريل

وحين هبط الضابط إلى إفريز المحطة أسرع إليه الأطفال فعانقوه فى محبة وألفة وشوق ؛ ثم اتخذت العائلة طريقها إلى المنزل ، وفى أثناء الطريق أخذت الطفلة تسند بكفها اللينة الغضة مسند عكاز الضابط الكسيح وقد فاض وجهها بماء الابتهاج والطيبة والمحبة البريئة

ك . ع

مختارات من الأدب الفرنسى

شعر ونثر

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

وثمنه ٢٥ قرشا عدا أجرة البريد

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

بمناسبة رفع حظر التجول بمدينة القاهرة ابتداء من ٢٥ مايو ولغاية ٢٥ يونية سنة ١٩٥٢ ستسير جميع القطارات وفقا لمواعيدها المدرجة بجدول فصل الصيف فيما عدا القطارات الآتية : —

أولا — لا تسير قطارات الديزل والإكسبريس المبينة بعد : —

٩٣١ و ٩٣٠ بخط مصر — الإسكندرية
٩٣٣ و ٩٣٢ بخط مصر — بور سعيد
٩٦١ و ٩٦٠ بخط مصر — المنصورة
٩٦٣ و ٩٦٢ بخط طنطا — المنصورة
٩٣٩ و ٩٤٠ بين مصر ودمياط
٩٦٧ و ٩٦٨ بين كوبرى القبو والسويس

ثانيا — ١٢٥ و ١٢٤ يبطل مسيرهما بين مصر والقناطر الخيرية من يوم ٢٥ يونية سنة ١٩٥٢

ثالثا — تسير قطارات الاكسبريس المقرر مسيرها بخط مصر — بنها — بور سعيد بين مصر والزقازيق فقط

المدير العام
سيد عبد الواحد

مطبعة الرسالة